بسم الله الرحمن الرحيم

البُنْيَانُ المَرْصُوصُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي دَعَا المُؤْمِنِينَ إِلَى الأُلْفَةِ وَالوَحْدَةِ الجَامِعَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الفُرْقَةِ وَالشِّقَاقِ وَمَا يَقْطَعُ كُلَّ آصِرَةٍ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَرَضَ الوِئَامَ بَيْنَ المُسلِمِينَ، وَشَرَعَ لَهُمْ مَا يَجْعَلُهُمْ مُتَوَادِّينَ مُتَآلِفِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الوَحْدَةِ وَالحَقِّ المُبِينِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللهِ:

اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ إِخْوَةً فِي الدِّينِ، وَاتَّقُوهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَاعلَمُوا أَنَّ المُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى، وَيَشُدُّ بَعْضُهُمْ عَلَى الخَيْرِ بَعْضًا، يَستَشْعِرُونَ نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِذْ هَدَاهُمْ لِلإِيْمَانِ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَوَحَّدَ مَا بَيْنَ فِئَاتِهِمْ، فَمَعَ افتِرَاقِ أَعْرَاقِهِمْ، وَتَنَوُّعِ أَنْسَابِهِمْ، وَاخْتِلافِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ؛ لا يَجِدُ أَحَدُهُمْ طَعْمَ الإِيْمَانِ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، يَرَى أَنَّ إِيْمَانَهُ لا يَكْمُلُ إِلاَّ بِذَلِكَ، وَإِسْلامَهُ لا يَتِمُّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَيَتَجَلَّى مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ الإِخَاءُ فِي أَجْمَلِ صُوَرِهِ، وَتَظْهَرُ الوَحْدَةُ فِي أَبْهَجِ مَعَانِيهَا، وَأَرْسَخِ مَبَانِيهَا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]، وَالأَمْرُ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِالوَحْدَةِ وَالنَّهْيُ عَنْ ضِدِّهَا، مَعَ التَّذْكِيرِ بِحَالِ الفُرقَةِ قَبْلَ الإِسْلامِ، وَضَرْبِ المَثَلِ فِي التَّنْجِيَةِ مِنْ ذَلِكُمُ الحَالِ، تَقْرِيرٌ لِمَبْدَأِ الوَحْدَةِ، وَتَرْسِيخٌ لَهُ وَتَأْصِيلٌ، فَهُوَ

(١) سورة آل عمران / ١٠٣ .

ضَرُورَةٌ لا غِنَى عَنْهَا لِحِفْظِ كِيَانِ الأُمَّةِ مِنَ الفُرقَةِ وَالشَّتَاتِ، وَصِيَانَةِ المُجتَمَعِ المُسلِمِ مِنَ الضَّيَاعِ وَالانْفِلاتِ، وَمِنْ هُنَا بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ تَوفِيقَ اللهِ تَعَالَى وَتَأْيِيدَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَتَى مَا كَانَ أَمْرُهُمْ جَمِيعًا، وَكَانُوا عَلَى كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ، فِي قَولِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –: ((يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

دَعْمًا لِذَلِكُمُ الفَرْضِ اللازِمِ، وَالمَبْدَأِ الأَصِيلِ، لا بُدَّ مِنْ تَنْمِيَةِ الوَحْدَةِ الإِيْمَانِيَّةِ، مِنْ مَنَابِعِهَا الأَصِيلَةِ النَّقِيَّةِ، لِتَغْدُوَ شَجَرَتُهَا رَاسِخَةَ الجُذُورِ، وَفُرُوعُهَا بَاسِقَةً، وَثِمَارُهَا جَنِيَّةً، وَمِنْ خَيْرِ مَا يُنَمِّي تِلْكَ الوَحْدَةَ التَّنْشِئَةُ عَلَى حُبِّ الوَطَنِ الَّذِي يَحْيَا المُسلِمُ تَحْتَ سَمَائِهِ، وَيَسْتَنْشِقُ هَوَاءَهُ، وَيَستَمِدُّ مِنْهُ مَاضِيَهُ وَأَصَالَتَهُ، وَتَنْعَكِسُ عَلَى نَفْسِيَّتِهِ بِيئَتُهُ، فَلا رَيْبَ أَنَّ تَنْمِيَةَ شُعُورِ الإِنْسَانِ بِالانْتِمَاءِ إِلَى وَطَنِهِ يَنْعَكِسُ أَثَرُهُ عَلَيْهِ إِيْجَابِيًّا، وَقَدْ أَصَّلَ ﷺ حُبَّ الوَطَنِ بِمَقُولَتِهِ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى المَدِينَةِ: ((وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ))، وَعَمِلَ ﷺ فِي المَدِينَةِ عَلَى تَقْوِيَةِ أَوَاصِرِ الأُلْفَةِ الجَامِعَةِ، حَالَ قِيَامِهِ بِعَقْدِ صَحِيفَةِ اتِّفَاقٍ وَطَنِيٍّ بَيْنَ جَمِيعِ طَوَائِفِهَا، حِمَايَةً لِذَلِكُمُ الوَطَنِ النَّاشِئِ مِنْ خَطَرِ الفُرقَةِ وَشَرِّ التَّنَازُعِ وَالاخْتِلافِ، وَلَقَدْ كَانَ دَعْمُ أَفْرَادِ المُجتَمَعِ النَّبَوِيِّ لِوَطَنِهِمْ صَادِقًا قَوِيًّا، لأَنَّهُ أَوْجَدَ مَا يُنَمِّي مَوَاهِبَهُمُ الفِكْرِيَّةَ وَالعَقْلِيَّةَ فَكَانُوا يُثَمِّرُونَهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الأُمَّةِ جَمِيعًا بِالخَيْرِ وَالرَّخَاءِ، وَالتَّنْمِيَةِ وَالعَطَاءِ، فَكُلُّ هَذِهِ الأُمُورِ وَغَيْرُهَا مِمَّا تُحَبِّبُ الأَفْرَادَ فِي وَطَنِهِمْ، وَيَكْسِبُ بِهَا المُجتَمَعُ أَفْرَادَهُ الَّذِينَ هُمْ ثَرْوَتُهُ الحَقِيقِيَّةُ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

مَتَى مَا نَعِمَ النَّاسُ بِوَحْدَةٍ اكتَمَلَتْ أَرْكَانُهَا، وَاجتَمَعَتْ لَبِنَاتُهَا، فَوَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْفَظُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالتَّآلُفِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالحِرْصِ عَلَى الخَيْرِ وَالبِرِّ، وَمِنْ هُنَا يُصْبِحُ التَّحْرِيضُ عَلَى الكَرَاهِيَةِ، وَالعَمَلُ عَلَى نَشْرِ الحِقْدِ وَالبَغْضَاءِ جَرِيمَةً فَادِحَةً، وَسُلُوكًا مُوغِلاً فِي السُّوءِ وَالفَحْشَاءِ، يَنْبِذُهُ الأَتْقِيَاءُ، وَيَعَافُهُ العُقَلاءُ، وَيَترَفَّعُ عَنْهُ الفُضَلاءُ، وَلا رَيْبَ أَنَّهُ

دَأْبُ الأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ يَصِفُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِقَولِهِ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١)، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ مُنَافِقًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ غَاظَهُ جُلُوسُ الأَنْصَارِ مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ مُجتَمِعِينَ، فَدَفَعَ بِشَابٍّ يُنْشِدُهُمْ أَشْعَارَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَغَيَّرَتِ القُلُوبُ، وَتَشَاحَنَتِ النُّفُوسُ، وَتَأَهَّبُوا لِلصِّرَاعِ، وَمَا حَجَزَ بَيْنَهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمُ اللهُ إِلَى الإِسْلامِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الجَاهِلِيَّةِ، وَاستَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ كُفَّارًا؟))، فَعَرَفَ القَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنَ الأَعْدَاءِ، فَثَابُوا إِلَى رُشْدِهِمْ، وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ وَحْدَةِ المُجتَمَعِ وَارتِقَائِهِ النِّظَامَ فِي حَيَاةِ أَفْرَادِهِ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، إِذْ لا حَيَاةَ بِغَيْرِ نِظَامٍ، وَإِنْ لَمْ يَحْيَ المُجتَمَعُ بِنِظَامٍ، وَلَمْ تَكُنِ الأَعْمَالُ فِيهِ مُنَظَّمَةً، وَالسُّلُوكِيَّاتُ فِيهِ مُقَنَّنَةً، ضَاعَتِ الأَوْقَاتُ هَدْرًا، وَذَهَبَتِ الطَّاقَاتُ عَبَثًا، وَحَسْبُنَا أَنَّ الخَالِقَ الحَكِيمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ النِّظَامَ يَحْكُمُ سَيْرَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ فِي هَذَا الوُجُودِ، بَدْءًا بِالذَّرَّةِ وَانتِهَاءً بِالمَجَرَّةِ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(٢)، فَكَيْفَ بِمُجتَمَعٍ مُسلِمٍ يَرْجُو العُقَلاءُ مِنْهُ أَنْ يُمَثِّلَ المُجتَمَعَ الوَسَطَ، وَأَنْ يَكُونَ خَيْرَ مُجتَمَعٍ أُخْرِجَ لِلنَّاسِ؟ فَفِي مِثْلِ هَذَا المُجتَمَعِ يَجْعَلُ المَرْءُ مِنَ النِّظَامِ مَا يَحْكُمُ تَصْرِيفَهُ لِسَاعَاتِ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، سَوَاءً مَا كَانَ مِنْهَا فِي مَصْلَحَةِ دُنْيَاهُ أَوْ آخِرَتِهِ، فَإِنْ صَلَّى وَرَاءَ إِمَامٍ صَلَّى بِنِظَامٍ، فَلا يَسبِقُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ صَلاتِهِ، وَإِنْ كَانَ تِلْمِيذًا حَافَظَ عَلَى انتِظَامِهِ فِي التَّحْضِيرِ وَشُهُودِ دُرُوسِهِ، وَإِنْ كَانَ مُعَلِّمًا كَانَ قُدْوَةً لِطُلابِهِ فِي تَنْظِيمِ وَقْتِهِ وَإِلقَاءِ دَرْسِهِ وَتَوْزِيعِ الأَدْوَارِ عَلَى التَّلامِذَةِ فِي صَفِّهِ، وَفِي المُجتَمَعِ المُنَظَّمِ لا مَظْهَرَ لِلتَّنَازُعِ عَلَى دَوْرٍ فِي صَفٍّ أَمَامَ مَكْتَبِ مَسْؤُولٍ، فَلِلْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمْ حَقُّ التَّقْدِيمِ عَلَى المُتَأَخِّرِينَ، وَفِي

(١) سورة آل عمران / ١٠٥ .

(٢) سورة يس/ ٤٠.

ذَلِكَ مَا يُنْهِي مُعَامَلاتِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمِنَ النِّظَامِ الَّذِي وَرِثْنَاهُ مِنْ قِيَمِ مُجتَمَعِنَا الأَصِيلَةِ تَقْدِيمُ الصَّغِيرِ لِلْكَبِيرِ دُخُولاً وَخُرُوجًا، وَمَشْيًا وَقُعُودًا، وَعَدَمُ الحَدِيثِ قَبْلَهُ، أَوْ سَبْقِهِ إِلَى طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ، وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّوقِيرِ الَّذِي أَوْصَى بِهِ الحَبِيبُ المُصْطَفَى ﷺ فِي قَولِهِ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا))، وَإِنَّ وَطَنًا نَشَأَ الفَرْدُ بَيْنَ رُبَاهُ، وَجَادَ عَلَيْهِ بِخَيْرَاتِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِ بِعَطَايَاهُ، حَقٌّ لَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ إِنْجَازَاتِهِ، وَيَعْتَزَّ بِمُكْتَسَبَاتِهِ، وَيَلْتَزِمَ نُظُمَهُ، فَالنِّظَامُ يَعُودُ عَلَى المُجتَمَعِ بِالأَمْنِ وَالاستِقْرَارِ، وَالرَّخَاءِ وَالازْدِهَارِ؛ فَلْيَكُنِ النِّظَامُ شِعَارًا لَنَا –عِبَادَ اللهِ–، شَامِلاً لِجَمِيعِ أَعْمَالِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا، لِيَرتَقِيَ بِذَلِكَ مُجتَمَعُنَا، وَتَصْلُحَ جَمِيعُ أَحْوَالِنَا.

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مِمَّا يَصُبُّ فِي مَصْلَحَةِ المُجتَمَعِ نَتِيجَةَ انتِشَارِ الوَعْيِ وَحَيَاةِ أَفْرَادِهِ حَيَاةَ نِظَامٍ وَالتِزَامٍ أَنْ يَشِيعَ بَينَهُمْ تَبَادُلُ المَنَافِعِ، وَتَسوِيقُ الخِبْرَاتِ، وَالسَّعْيُ لِتَحقِيقِ المَصَالِحِ العَامَّةِ، ذَلِكَ لأَنَّ المُؤْمِنَ يَرَى أَنَّ إِيْمَانَهُ لا يَكْمُلُ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَحْيَا لِلْجَمَاعَةِ، وَلا يَحْيَا مَحْدُودًا فِي نِطَاقِ رَغَبَاتِهِ الفَرْدِيَّةِ لا يَعْدُوهَا، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسْعَى لِنَفْعِ الآخَرِينَ مِثْلَمَا يَطْلُبُ الخَيْرَ لِنَفْسِهِ، يَقُولُ رَسُولُنَا الكَرِيمُ – عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَتَمُّ التَّسلِيمِ –: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ – يَا عِبَادَ اللهِ– إِذَا مَا شَاعَتْ هَذِهِ الرُّوحُ التَّعَاوُنِيَّةُ فِي جَمِيعِ الأَفْرَادِ أَنْ يَتَحَوَّلَ مُجتَمَعُهُمُ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ مِنْ حَالِ الضَّعْفِ إِلَى حَالِ القُوَّةِ، وَيُصْبِحُ لِلْبَلَدِ وَأَهْلِهِ نَصِيبَهُمَا الوَافِرَ مِنَ الرَّخَاءِ وَالازْدِهَارِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالإِعْمَارِ، وَتَأَمَّلُوا مَعِي – رَحِمَكُمُ اللهُ – خُطَّةَ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي مُوَاجَهَةِ السَّنَوَاتِ السَّبْعِ العِجَافِ، أَكَانَ بِوِسْعِهِ وَحْدَهُ تَنْفِيذُهَا، وَمُوَاجَهَةُ الجَدْبِ العَامِّ فِي مَملَكَتِهِ؟ مَا كَانَ ذَلِكَ بِوِسْعِهِ لَوْلا أَنَّ أَفْرَادَ المُجتَمَعِ مِنْ حَولِهِ تَآزَرُوا مَعَهُ بِإِخْلاصٍ، فَكَانَ مِنْهُمُ العُمَّالُ فِي حُقُولِهِمْ، وَالسَّاقُونَ لِزُرُوعِهِمْ، وَالحَاصِدُونَ لِثِمَارِهِمْ، وَالخَازِنُونَ لِمَحَاصِيلِهِمْ، فَلَوْ كَانَ فِيهِمُ المَاشُونَ بِالإِفْسَادِ لِتِلْكَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّاعُونَ لإِفْسَادِ تِلْكَ الخُطَّةِ النَّاجِحَةِ، لأَتَتِ الجَائِحَةُ عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، وَلَذَهَبَتْ

مَجْهُودَاتُهُمْ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى حَاكِيَا تَأْوِيلَ سَيِّدِنَا يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- لِرُؤْيَا مَلِكِ مِصْرَ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(١)، فَبِسَبَبِ عَمَلِهِمُ النَّاجِمِ عَنْ وَعْيٍ وَإِدْرَاكٍ، وَفِي ضَوْءِ نِظَامٍ وَالتِزَامٍ، وَتَبَادُلٍ لِلْمَنَافِعِ، وَرَغْبَةٍ فِي تَحْقِيقِ المَصْلَحَةِ العَامَّةِ، كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تَمُرَّ الأَزْمَةُ الاقتِصَادِيَّةُ عَلَيْهِمْ بِسَلامٍ، وَيَنْعَمَ الأَفْرَادُ فِي مُجتَمَعِهِمْ بِنَفْعٍ عَامٍّ، وَرَخَاءٍ اقتِصَادِيٍّ شَامِلٍ، أَنْتَجَهُ التَّعَاوُنُ وَالتَّلاحُمُ، وَالتَّعَاضُدُ وَالتَّآزُرُ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَقَابِلُوا نِعْمَةَ الأَمْنِ فِي البِلادِ بِالتَّلاحُمِ وَالوِئَامِ، وَالبُعْدِ عَنِ الفُرقَةِ وَالخِصَامِ؛ تَسْعَدُوا بِرِضَا الرَّحْمَنِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِيْنَ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللهِ:

مَنْ أَدْرَكَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ امتِحَانٍ وَابتِلاءٍ أَدْرَكَ لِمَاذَا كَانَتِ الاختِلافَاتُ مُتَنَوِّعَةً بَيْنَ أَفْرَادِ النَّاسِ؛ بَدْءًا مِنْ تَنَوُّعِ أَجْنَاسِهِمْ وَانقِسَامِهِمْ إِلَى شُعُوبٍ وَقَبَائِلَ، ثُمَّ انقِسَامِهِمْ فِي حُظُوظِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَفِي صِحَّةِ أَبْدَانِهِمْ مَا بَيْنَ صَحِيحٍ وَعَلِيلٍ، وَوُجُوهُ الاختِلافِ كَثِيرَةٌ، وَفِي ذَلِكَ حِكَمٌ بَالِغَةٌ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، وَمَعَ كُلِّ هَذَا

(١) سورة يوسف/ ٤٧-٤٩.

(٢) سورة الأنعام / ١٦٥ .

التَّنَوُّعِ وَالاخْتِلافِ؛ إِلاَّ أَنَّ الإِسْلامَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالوَحْدَةِ وَنَبْذِ الشِّقَاقِ وَالنِّزَاعِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الإِسْلامَ يَأْمُرُ المُسلِمَ بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَحُسْنِ الجِوَارِ وَالبَذْلِ وَالإِيثَارِ، بَلْ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ وَيَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ وَالبَغْيِ وَالاستِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَنَافَسُوا وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

قَدْ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ تَوْجِيهَ النَّصِيحَةِ، وَالتَّنْبِيهَ عَلَى الأَخْطَاءِ سُلُوكٌ يَعُوقُ أَمْرَ الوَحْدَةِ بَيْنَ فِئَاتِ المُسلِمِينَ، فَلِذَا يُحْجِمُ عَنْ دَلالَةِ المُخْطِئِ عَلَى مَا أَخْطَأَ فِيهِ، فِي حِينِ أَنَّ الأَمْرَ بِخِلافِ هَذَا، فَلَيْسَ النُّصْحُ مِمَّا يَعُوقُ الوَحْدَةَ، بَلْ هُوَ مِمَّا يَدْعَمُهَا وَيُؤَازِرُهَا، وَمَا هُوَ إِلاَّ تَصْحِيحٌ لِمَسِيرَةِ أَفْرَادِ المُجتَمَعِ فِي طَرِيقِ الخَيْرِ، وَدَاخِلٌ ضِمْنَ التَّوَاصِي بِالحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَقَدْ يَعُدُّ بَعْضُ النَّاسِ اخْتِلافَ الآرَاءِ الفِقْهِيَّةِ مُثَارًا لِلشِّقَاقِ وَالفُرقَةِ، وَالحَالُ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مُرُونَةِ الإِسْلامِ، وَيُسْرِهِ وَرِفْقِهِ بِالنَّاسِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاعْمَلُوا عَلَى رَصِّ صُفُوفِكُمْ، وَإِجْمَاعِ كَلِمَتِكُمْ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ،

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاً مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.